بي كتابه العزيز بل اوحي الي انه استمع نفر من الجن الى قوله فامنا به ولن نشرك بربنا احدا
ومدح الله تعالى الجن لما سمعوا قراة النبي صلى الله عليه وسلم بنخلة وقيل بعكاظ فقالوا انصتوا سمعوا
بالانصات فلما سمعوا وفهموا رجعوا الى قومهم منذرين وقال النبي صلى الله عليه وسلم
نعم الجن حين يصيبني سالوني الزاد فسالت الله تعالى ان لا يمروا على عظم الا وجدوا عليه
قوتا فعلى ذلك انهم من جملة المكلفين بالعلم والعمل وتجري عليهم الاحوال التي يطيقون حملها
والتي يضعفون عنها كالانس والحكايه التي اوردها الامام عن الشيخ ابي علي الدقاق لما
طلب السفر من مرو الى نيسابور فسمع في النوم على انك لا يمكنك السفر فان جماعه
من الجن انتفعوا بكلامك قال الامام رضي الله عنه وقال بعض الحكما انما خلق للانسان لسان
واحد وعينان واذنان ليسمع ويبصر اكثر مما يقول قال الشارح رضي الله عنه وهذا
فيه اشاره الى ان الله خلق له عضو واحدا ما يفعل به اكثر مما خلق الله له عضوين كالعينين
والاذنين واما قوله ليبصر ويسمع اكثر مما يقول فهي اشاره الى انه ينبغي ان يكون كلام العبد
اقل من رويته وسماعه وهذا ليس على التحقيق فان الله تعالى ما خلق العينين والاذنين لهذه
الفايده لكونه اكثر واقل وانما العبد محتاج الى ان يسمع ويرى كل جهه من جهتيه فيفضل
الحق بذلك لتكمل عليه نعمه واما اللسان فهو يعبر عما في الجنان قال الامام رضي الله
عنه ودعي ابراهيم ابن ادهم الى دعوه فلما جلس اخذوا في الغيبه فقال عندنا يوكل اللحم
بعد الخبز وانتم ابتدأتم باكل اللحم اشار لقوله تعالى ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه
قال الشارح رضي الله عنه وهذا ايضا من باب التلطف في التنبيه في انكار الغيبه ولاسيما
اذا كان المنكر عليه ممن لا يحمل الامر والنهي اما لعظمته في نفسه او لصعوبته الامر الناهي
والاولى لمن ابتلي بشي من ذلك ان يعدل الحكايات والامثال لينتبه المغتاب من نفسه لزلله
وينكف عن غيبته وان عجز عن ذلك عرض بحديث اخر غير ما هم فيه ليشتغل الناس عما
هم فيه من الغيبه هذا الطريق هو الذي سلكه ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه قوله البدايه
باللحم قبل الخبز قال الامام رضي الله عنه وقال بعضهم الصمت لسان الحلم قال الشارح رضي
الله عنه يعني ان الصمت عن اشتفا الغيظ دليل على حلم من اوذي فلم يشف غيظه
ولم يكاف من اذاه وقد يكون للصمت اسباب كثيره غير هذا قال الامام رضي الله عنه
وقال بعضهم تعلم الصمت كما تتعلم الكلام فان كان الكلام يهديك فان الصمت يقيك قال
الشارح رضي الله عنه قد تقدم مرارا ان ليس المحمود الكلام على الاطلاق ولا المذموم على
الاطلاق وان في الكلام والسكوت محمودا ومذموما وما خلق الله تعالى الة اللسان الا للبيان
عما في الجنان والمحمود منه ما تدعوا اليه حاجة الانسان على حسب ما يقتضيه الحال
وكذلك السكوت منقسم الى محمود ومذموم وقد تقدم ان من سكت عن الحق فهو شيطان
اخرس

اخرس كتغيير المنكر مع الامكان والارشاد الى ما يحتاج اليه غيره من العلم البيان وانما
يراد السكوت خوفا من الخطا والخطل والوقوع بكثرة الكلام في الزلل وقد قيل اذا كان
السكوت من فضه كان الكلام من ذهب وكذلك قوله ان كان الكلام يهديك فالسكوت يقيك
والوقايه من الشر فوقها الهدايه للخير الا ان السلامه لابد من تقديمها على الغنيمه
فلذلك مدح الناس السكوت لما فيه من السلامه والكل غانم سالم قال الامام رضي الله
عنه وقيل عفة اللسان صمته وقيل مثل اللسان مثل السبع ان لم توثقه عدا عليك
وسيل ابو حفص اي الحالين للولي افضل الصمت او النطق فقال لو علم الناطق ما افة النطق
لصمت ان استطاع عمر نوح ولو علم الصامت ما افة الصمت لسال الله عز وجل ضعفي
عمر نوح حتى ينطق قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فانا اذا تكلمنا على الاوان
وقدرنا السلامه في الصمت والعطب في الكلام لم يخف ما بينهما من الفضل وكيف يفضل
العطب على السلامه واما التحقيق ان تفرض السلامه فيهما وتفضل بينهما الغنيمه فعلى
هذا تظهر فضيلة الغنيمه في الكلام على فضيلة السلامه في الصمت وذلك مراد ابي حفص
فيما ذكره انه اذا قدرت السلامه فيهما تمنى الانسان ضعفي عمر نوح ليكون متكلما في الاول
سال عمر نوح ليكون سالما لمن قوله ان الكلام مع السلامه تلازمه الغنيمه الفاضله
بخلاف الغنيمه مع السكوت فانها مفضوله وذلك لتعدد وجوه الغنيمه في الكلام
قال الامام رضي الله عنه وقيل صمت العوام بالسنتهم وصمت العارفين بقلوبهم وصمت
المحبين من خواطر اسرارهم قال الشارح رضي الله عنه صمت العوام بالسنتهم يعني عن فضول
الكلام وصمت العارفين بقلوبهم عن فضول الفكر غير المرام وصمت المحبين بالتحفظ
من خواطر اسرارهم ان تشير الى غير محبوبهم والله اعلم قال الامام رضي الله عنه وقيل لبعضهم
تكلم فقال ليس لي لسان فاتكلم به فقيل له اسمع فقال ليس في مكان فاسمع قال الشارح رضي
الله عنه وهذا اشاره لاحد امرين اما الى التبري من الحول والقوه في ساير الحركات والسكنات
والمعاني النافعه به المتوليه عليه في اللسان والسمع والبصر وغير ذلك من الالات
او اشاره الى استغراقه في معروفه حتى شغل به عن غيره وهي في التوحيد افضل الحالات
قال الامام رضي الله عنه وقال بعضهم مكثت ثلاثين سنه لا يسمع لساني الا من قلبي
ثم مكثت ثلاثين سنه لا يسمع قلبي الا من لساني قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على انه
اقام ثلاثين سنه يتثبت بقلبه ولا يدع لسانه ينطق الا بما صح في قلبه فاذا صح بالتثبت
لاجله ووزنه بميزان الحق والحكمه نطقت النفس به وعبر اللسان عما قام بالنفس
من الكلام فبهذا الاعتبار كان يسمع لسانه من قلبه فلما سهلت عليه المعاني وصارت العلوم
والحكم نصب عينيه وصار الحق يجريها تفضلا عليه صار يتعجب مما يجريه الحق على لسانه

Copyright © King Saud University